المجلة العلمية لجامعة جيهان – السليمانية ص:1-13
المجلد (4) – العدد(1) , حزيران 2020
ISSN 2520-7377 (Online), ISSN 2520-5102 (Print)

العمارة الإسلامية، اشكالية التسمية

ناهض طه القيماقجي[1]، احمد عبد الواحد ذنون[2]، مها ناهض القيماقجي[3]

قسم الهندسة، كلية الهندسة المعمارية، جامعة جيهان - السليمانية، السليمانية[1]

قسم الهندسة، كلية الهندسة المعمارية، جامعة الموصل، الموصل[2]

قسم الهندسة، كلية الهندسة المعمارية، جامعة الموصل، الموصل[3]

E-mail: Nahith.taha@sulicihan.edu.krd[1], ahmadabdulwahed@yahoo.com[2], mahanahith@gmail.com[3]

الملخص:

يعد مفهوم (العمارة الإسلامية) حديث الاستخدام في الدوائر البحثية المعمارية، وقد كان ظهوره مدعاة لتوظيف المصطلح لترسيخ الاعتقاد بارتباط المنتج المعماري بدين الإسلام، هذا الاصطلاح الذي يحمل تأويلات متباينة، اعتبره بعض الباحثين تعريفاً لا يتسم بالدقة والشمولية، ويحمل في طياته أيديولوجية محدودة، كما انه يطلق جملة من الإشكاليات، ويثير تساؤلا غاية في الأهمية عن ماهية صلة الإسلام بالعمارة!

يحاول هذا البحث الولوج الى العمق الدلالي لهذا المصطلح ويناقش الإشكاليات التي يثيرها من اجل الحكم على مصداقيته في التعبير عن الموروث الحضاري للشعوب التي دانت بدين الإسلام، ومدى امكانيته في خلق فهم عام ومشترك لدى مستخدميه بحيث لا يقع في فخ المناطقية والايدولوجية ويعطي توصيفا شاملا لمدلولاته.

وانطلاقا من منهج استقرائي، فلقد اثار البحث جملة من التساؤلات التي تتعلق بالمصطلح، ولغرض تحري اجابتها، فقد ناقش الإشكاليات التي يثيرها والتي تتعلق بالشكل والمضمون والهوية، من اجل الوصول الى الدلالة الحقيقية لاستخدامه وبالتالي تحديد كفاءته في التوصيف.

الكلمات المفتاحية: العمارة الإسلامية، دلالة المصطلح، اشكالية التسمية، الإسلام، العمارة.

پوختە:

دەرکەوتنی مێژووی زاراوەی (تەلارسازی ئیسلامی) دەورێکی گرنگی بینیووە لە بەکارهێنانیدا، بۆ پتەو کردنی باوەڕ لە بەیەکەوە بەستن لە نێوان بە ئەنجام گەیەندراوە تەلارسازییەکانی موسوڵمانان لەگەڵ ئاینی ئیسلامدا، ئەمەس زۆر لایەنی کێشەدار و پرسیارێکی زۆر کاریگەر و زیندوو دروست دەکات لەو بارەیەوە، ئایا پەیوەندی چییە لە نێوان تەلارسازی و ئاینی ئیسلامدا؟

ئەم توێژینەوەیە هەوڵ دەدات بگات بە قوڵایی لایەنی زمانەوانی ئەم زاراوەیە و ئەو کێشەیە تاوتوێ بکات کە هێناویەتییە ناو کایەوە و بتوانێت بڕیار لە ڕاستی و دروستی بدات لە دەربڕینی کەلەپوری کەلتوری ئەو خەڵکانەدا کە ئیدانەی ئاینی ئیسلام و تواناکەیان کردووە لە دروست کردنی تێگەشتنێکی گشتی لە نێوان بەکارهێنەرانیدا بۆ ئەوەی نەکەونە ناو تەڵەی تەسکی ناوچەگەری و فکری سوردراو هەروەها بەخشینی واتایەکی گشتگیر بۆ لایەنی بەکارهێنانی .

بە بەکارهێنانی ڕێگای گشتاندنی ئەنجامی ،ئەم توێژینەوەیە لە دەستپێکدا زۆر پرسیاری کردووە لە بارەی زاراوەی (تەلارسازی ئیسلامی) وهەروەها بۆ وەڵامدانەوەیان کێشەکەی تاووتوی کردووە کە بە هۆی زاراوەکەوە سەری هەڵداوە کە پەیوەندی هەیە بە لایەنی شکڵ و ناوەڕۆک و ناسنامە، بۆ ئەوەی بگات بە زاراوەیەکی بەکارهێنراوی دروستی کاریگەر کە بەم شێوەیە تواناکەی دیاری دەکرێت لە گشت واتا مانادارەکاندا .

وشەی کلیل : تەلارسازی ئیسلامی، دەلالەی زاراوەی، ناونانی کێشەدار، ئیسلام، تەلارسازی.

DOI: http://dx.doi.org/10.25098/4.1.1

المجلة العلمية لجامعة جيهان – السليمانية ص:1-13
المجلد (4) – العدد(1) , حزيران 2020
ISSN 2520-7377 (Online), ISSN 2520-5102 (Print)

Abstract:

The historical emergence of the term (Islamic Architecture) has played an important role in the use, to consolidate the belief in linking between the architectural achievements of the Muslims with the religion of Islam. It raises several problematic issues and a very vital question about, what is the relation between Islam and architecture.

The research attempts to reach the semantic depth of this term and discusses the problems it raises in order to judge its credibility in expressing the cultural heritage of the peoples that condemned Islamic Religion and its potential to create a common understanding among its users so that it does not fall into the trap of narrow regionalism and limited ideology and gives a comprehensive description of its implications. Adopting an inductive methodology, the research initially asked several questions related to the term (Islamic Architecture) and to answer, it discussed the problems raised by that term, which relate to the form, content, and identity, in order to reach the accurate significance of the use of the term and thus determine its efficiency in the overall meaning description.

Keyword: Islamic architecture, Term Connotation, Problematic Nomenclature, Islam, Architecture.

1- مقدمه:

يعد مصطلح (العمارة الإسلامية) من المصطلحات الحديثة في لغة التعبير المعماري المعاصر؛ فقد جاءت وحسب ما أورده إدهام حنش في دراسته: (نظرية الفن الإسلامي: المفهوم الجمالي والبنية المعرفية)، مصطلحات عدة للدلالة على عمارة الإسلام، مهدت لظهور مسمى (العمارة الإسلامية) في كتابات المستشرقين الغربيين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، وأهمها: (العمارة المُحمدية)، نسبة إلى شخص الرسول مُحّمد (ص). وهو اللفظ الذي عبّر عن عمارة المسلمين منذ أواخر القرن التاسع عشر، مثل الكتاب الذي وضعه مارتين بريجس (Martin. Briggs) تحت عنوان (العمارة المُحمدية في مصروفلسطين). (حنش، 2013، ص 50). كما عرف هذا الإرث المعماري بعمارة العرب، أو العمارة العربية - الإسلامية، لشيوع ارتباط كل ما هو اسلامي بالجزيرة العربية، باعتبارها مهد الدعوة الأول (بهنسي، 1979، ص 9-17). كما أشار إليه بعض المنظّرين الأوروبيين في دراستهم عن عمارة الشرق، ومنهم المؤرخ الفرنسي غوستاف لو بون (Gustave Le Bon) في كتابه (حضارة العرب) الذي استعرض خلاله نتاج الحضارة العربية وإرثها المعماري. (حنش، 2013، ص 51).

ولقد رفضت طائفة من الباحثين استخدام مثل هذا المصطلح، لما تضفيه صفة العروبة واختصاصها بأهل جزيرة العرب، والناطقين بالعربية، من اختزال يغفل تراث العمارة في بلاد فارس والهند والصين وجنوب أوروبا. (حنش، 2013، ص 51) ونزعت دراسات أخرى إلى تسمية عمارة ديار الإسلام باسم (العمارة المُسلمة)، لتوصيف العمارة في البلاد والعصور التي سادها المسلمون، والذي تغير في غضون سنوات قليلة للمُسمى المعروف بـ (العمارة الإسلامية). ويعد المستشرق ومؤرخ العمارة الإنكليزي كيبل كربزويل (Keppel Creswell) أبرز من استخدم هذا المصطلح. (حنش، 2013، ص 53).

لقد كان للظهور التاريخي لمفهوم (العمارة الإسلامية) دور مهم في توظيف المصطلح لترسيخ الاعتقاد بارتباط المنُجز المعماري للشعوب الإسلامية بدين الإسلام، هذا الاصطلاح الذي يحمل تأويلات متباينة، اعتبره بعض الباحثين تعريفاً قاصراً، لا يتسم بالدقة والشمولية، ويحمل في طياته أيديولوجية غريبة، كما انه يطلق جملة من الإشكاليات، ويثير تسؤلا غاية في الأهمية عن ماهية صلة الإسلام بالعمارة! (حنش، 2013، ص 54).

المجلة العلمية لجامعة جيهان – السليمانية ص:1-13
المجلد (4) – العدد(1) , حزيران 2020
ISSN 2520-7377 (Online), ISSN 2520-5102 (Print)

2- العمارة الإسلامية تساؤلات مشروعة:

يثير استخدام مصطلح العمارة الإسلامية جملة من التساؤلات (المشروعة) لدى العديد من المؤرخين ودارسي الفنون والعمارة على حد سواء، ولعل أبرز تلك التساؤلات ما يأتي:

- هل من المنصف ربط العمارة بديانة معينة (من الجدير بالذكر ان عددا من المؤرخين يشيرون الى العمارة القبطية والمسيحية باعتبارها تمثل حقبة من تاريخ النتاج المعماري)، وإذا كان الامر كذلك فماذا عن عمارة شُيدت بأيدي معماريين غير مسلمين ممن قطنوا ديار الإسلام، وشاركوا في المنتج الحضاري لأوطانهم التي حكمها المسلمين؟
- ما هو المضمون الذي تستدعيه صفة (الإسلامية) حين ترتبط بالعمارة؟ وما مدى ارتباطها بعقيدة الإسلام؟ وهل يتحدد إطلاق هذا المصطلح على العمائر التي ارتبطت بالدين كالمساجد والتكايا والمزارات ام انه توصيف شامل لكل النتاج المعماري الذي ظهر في المنطقة الممتدة من أواسط اسيا وحتى المحيط الأطلسي وجنوب اوروبا؟
- هل ان التباين في الطرز والانماط البنائية التي سادت العالم الإسلامي منذ ظهور هذا الدين في شبه جزيرة العرب وحتى يومنا هذا دليل على وحدة المفهوم الذي يصيغه المصطلح؟ ام انه يفصح عن إن العمارة الإسلامية ليست تلك التي تُجسد عقيدة دين الإسلام وحسب؛ بل هي العمارة الناطقة بهوية الحضارة، والمعبرة عن العلاقة بين العقيدة والمجتمع، والملبية لحاجات المسلمين في البقاع المختلفة، وبمعالجات معمارية متنوعة، فاكتست بذلك بصمة تمييز إقليم عن آخر، وعصر عن اخر!

ان تلك التساؤلات وغيرها تدفع نحو البحث في حجم الدلالة التي يقدمها استخدام ذلك المصطلح وامكانياته في توصيف النتاج بشكل موضوعي، انطلاقا من ايديولوجية أساسية مفادها ان الاصطلاحية فكرة تنبع من اتفاق طائفة معينة على استخدام أدوات التعبير الحقيقية عن المعاني الكامنة وراء المفردات.

2-1/ المشكلة، الهدف، الفرضية، المنهج:

ان ما تقدم يؤطر المشكلة البحثية بوصفها محاولة للإجابة عما ورد من تساؤلات تتمحور حول ما إذا كان مصطلح تسمية (العمارة الإسلامية) يفي بغرضه من ناحية التوصيف الدلالي ويشير الى المعنى المرجو من اطلاقه شكلا ومضمونا، ويتحدد هدف البحث عند ذاك بالبحث في دلالية محتوى المصطلح وما يثيره من معاني، انطلاقا من فرضية مفادها ان المحتوى الدلالي لمصطلح (العمارة الإسلامية) لا يتطابق مع مفهوم العمارة الإسلامية بل يبتعد بها الى غايات أيديولوجية بعيدة عن الفحوى الذي يحمله مثل ذلك الاستخدام.

ومن اجل الإجابة عن تلك التساؤلات وغيرها فقد اتبع البحث منهجا استقرائيا مبنيا على تشكيل أرضية معرفية لفهم المصطلح أولا، ومن ثم التطرق لدلالته عن طريق مناقشة ثلاثة محاور هي الشكل (المتعلق بصياغة المصطلح) والمضمون (المتعلق بفحوى المعاني التي يثيرها) وأخيرا مناقشة الهوية (وماهية خصوصية المصطلح).

لقد ابتعد البحث عن المنهج التاريخي الوصفي الذي يرتكز على سرد التنظيرات التي تقدم بها اخرون مارسو استخداما واسعا للمصطلح (وهم أكثر من ان يحصيهم هذا البحث) وذلك لتنافي ذلك مع حجيته التي بدأ بها الا وهي تناول المصطلح من حيث هو ومحاولة تشريحه للإجابة عما تقدم من تساؤلات.

3- إشكالية الشكل:

3-1/ التعريف:

التعريف هو ذكر لشيء تستلزم معرفته معرفة شيء آخر (ابن منظور، 1999، ج9، ص237). والتعريف الحقيقي، هو أن يكون حقيقة ما وضع اللفظ بإزائه من حيث هو فيعرف بغيره، والتعريف اللفظي، هو أن يكون اللفظ واضح الدلالة على معنى فيفصل بلفظ أوضح، دلالة على ذلك المعنى، كالقول: الليث الأسد، وليس هذا تعريفا حقيقيا يراد به إفادة تصور غير حاصل، وإنما المراد تعيين ما وضع له لفظ الليث من بين سائر المعاني. والتعريف (اللفظي) في العربية يكون بالنسبة إلى شيء آخر (الإضافة) وباللام المعروفة بلام التعريف المنقسمة إلى لام الجنس إذا أريد النوع العام للشيء كالأسد لجنس الأسود، ولام العهد إذا أريد الشيء السالف الذكر كالأسد في: هربت من الأسد. (الجرجاني، 2008 ص، 93).

DOI: http://dx.doi.org/10.25098/4.1.1

المجلة العلمية لجامعة جيهان – السليمانية ص:1-13
المجلد (4) – العدد(1) , حزيران 2020
ISSN 2520-7377 (Online), ISSN 2520-5102 (Print)

وتنبع صعوبة إيجاد تعريف من اختيار كلمات واضحة ومفهومة لاستخدامها في التعريف، أو بمعنى آخر كلمات يكون الحصول على تعريفها بحد ذاته ليس بالأمر الشاق. وكما أن للكثير من الكلمات عدة تعاريف، فإن للتعريف ذاته عدة تعاريف تبعا لمكان استخدامه، فقد يكون التعريف وصفيا للمعنى أو الاستخدام العام، أو نصيا لإيصال المعنى عن طريق استخدام الصيغ (كما هو الحال في الرموز الرياضية) اما الفرق بين التعريف اللغوي، والاصطلاحي، هو أن الأول يطلق على المعنى الذي استعملته اللغة للكلمة، والثاني يقصد به المعنى الذي اصطلح أهل فن معين على إعطائه لتلك الكلمة، فالصلاة -مثلا- في المعنى اللغوي الدعاء، وفي المعنى الاصطلاحي الشرعي العبادة المعروفة. (القاسمي، 2008، ص-ص 70-100).

وانطلاقا مما تقدم فالعمارة لغة: من عمر، يعمر فهو إعمار وتعمير، وهي كل ما يبنى على وجه الأرض (ابن منظور، 1993، ج4 ص 630). واما العمارة اصطلاحا: فهي كل بنيان يصنع بهدف التنمية العمرانية التي تسعى إلى خدمة الفرد والمجتمع، وتستجيب لكافة متطلباته، سكنية وإدارية وثقافية. الخ (العقابي، 2017، ص 37). ويصف الجادرجي العمارة بأنها: فعالية إنسانية واجتماعية تتبلور مفاهيمها من مفردات تكوينها مثل الزمان والمكان والانسان ويعتمد قيامها على مستويات ثلاث هي القصد والأداء والتقبل وتكون بأعلى مستويات ادائها عندما يتوازن فيها جانبي القصد والتقبل (الجادرجي، 1995، ص 97). اما العمارة عند حسن فتحي فهي فن تكوين الحجوم والفراغات المخصصة لاحتضان الوظائف والنشاطات الانسانية والاجتماعية بتنوعها وهي انطلاقا من ذلك تعكس في سماتها وأشكالها الانجازات التقنية والحضارية والتطلعات الجمالية والروحية والقدرات المادية للمجتمع في بيئة ما وفترة تاريخية محددة. (عبود، 2002، ص 6).

وفي المقابل تشير كلمة الإسلام لغة، الى الاستسلام والانقياد (ابن منظور، 1999، ج12، 285)، وأما معناها اصطلاحا فهو: الخضوع، فالإسلام شرعا: هو الانقياد لله سبحانه وتعالى وتوحيده والانصياع التام لأوامره، كما أن الإسلام هو اتباع التعاليم الدينية كما أنزلها الله تعالى على الرسول محمد (ص) و التي تستهدف مصالح العباد في الحياة الدنيا، و تم توضيح أحكام العقيدة الإسلامية، وأخلاقها، و آدابها، وعباداتها في القرآن الكريم وسنة نبيه (ص)، وعرف ابن باز الإسلام على انه الإقرار بالتوحيد مع التصديق، والعمل بشريعة الله تعالى وقد عرّفهُ بعض علماء الإسلام بأنّه: التعبّد لله -تعالى- بالتزام شريعته التي أنزلها على رسله، ويشمل ذلك الاستسلام لله -تعالى- ظاهراً وباطناً، عقيدةٌ، وعملٌ. (زرابوزو، 2005، ص 25).

وإذا حاولنا ان نجد القاسم المشترك في التعريف، يمكن القول ان العمارة بكافة مستوياتها عبارة عن فعالية إنسانية تنعكس فيها الحالة الوجودية والظرفية للبيئة والمجتمع الذي ينتجها، وتكون مرآة لمتطلباته وحاجته. اما الاسلام فهو كل ما ارتبط بالعقيدة من عبادات وسنن وما تنص عليه العقيدة من الايمان بالثوابت التي يجزم ويوقن بها المسلم. فهو أولا وأخيرا عقيده لها أركانها التي امر الله بها تستوجب الطاعة ومخالفتها تعد خروجا عن هذه العقيدة شركا او عصيانا.

2-3/ الاسناد (الموضوع والمحمول) (Predicate & Subject):

الموضوع والمحمول، أو المحكوم عليه والمحكوم به في المنطق، أو المسند إليه والمسنَد في البلاغة، أو الجوهر والعرض في الفلسفة، أو المبتدأ والخبر في النحو، كل هذه مسميات تدل على طرفي القضية الحملية، والقضية الحملية:(Proposition) هي كل قضية تتكون من طرف أول يراد الإخبار عنه أو يراد منه أن يكون موضوعا أو يسند إليه شيء ويسمى هذا الطرف بالموضوع أو المسند إليه (Subject)، أما الطرف الآخر فهو ما يخبر به أو ما يكون محمولا على الموضوع أو مسندا للموضوع، وهذا هو المحمول أو المسند أو العرض (Predicate) (خندان، 2017، ص 138) ففي قولنا: النار حارة، فإن النار هي الموضوع لأننا سنخبر عنها أما حاره فمحمول على النار، والنار أيضا مسندا إليه لأننا أسندنا الحرارة إليها فالحرارة مسند، والنار كذلك جوهر أما الحرارة فهي عارض، والنار بعد ذلك مبتدأ أما حارة فخبر يخبر به عن حالة النار. (خليل، 1979، ص30)

والموضوع بالنحو والبلاغة العربية هو كل ما يمكن الإخبار عنه ولا يقتصر على المبتدأ النحوي فقط فالمبتدأ والفاعل ونائب الفاعل وأسماؤه كلها موضوعات، أما الخبر والفعل فهي محمولات لأننا أخبرنا بها والعلاقة بين الموضوع والمحمول علاقة ارتباطية ولو سألنا عن الرابطة التي تربط بينهما في جملة النار حارة، فنقول إنها النسبة أي أن النار تمثل موضوعا (محمولا عليه) بالنسبة للحرارة أما الحرارة فتمثل محمولا بالنسبة للنار .(خليل، 1979، ص32)

وبهذا فان مصطلح العمارة الاسلامية يتمثل بجذرين أولهما يتعلق بالعمارة وهي الحامل او الموضوع او ما يراد الاخبار عنه والتي تنطلق في تعريفها من بعدها الإنساني الوجودي وثانيهما هو الاسلامية وهو المحمول والصفة او ما يخبر عنه، اي ان العمارة صفتها ان تكون اسلامية او انها جزء من العقيدة الاسلامية التي تنطلق في تعريفها من بعدها العقائدي الإلهي.

المجلة العلمية لجامعة جيهان – السليمانية ص:1-13
المجلد (4) – العدد(1) , حزيران 2020
ISSN 2520-7377 (Online), ISSN 2520-5102 (Print)

3-3 / المفهوم (Connotation & Denotation):

يوجد لكل كلمة او تعريف جذور لاشتقاقات متعددة فقد تمتلك استخدامات تبدو للوهلة الاولى غير مترابطة، وهي مترابطة فعلا في البعد الافقي المباشر، لكن في البعد الاخر الشاقولي سنجد شبكة داخلية من المعاني التي تتصل ببعضها بطريقة تجعل المعاني ممتدة ومتدرجة وقد تكون متعارضة مع المعنى في البعد الافقي. وكذلك الكلام يقال عن المشتركات اللفظية والمعنوية في الجذور والاشتراك في اللفظ بعني أن المعاني متعددة، أي أن (المصاديق) متعددة ويفيد هذا أن الوضع قد تعدد، والاستعمال قد تعدد: فكلمة العين قد تعني الباصرة وقد تعني الجاسوس او مجرى الماء إلخ. اما الاشتراك المعنوي: فهو لفظ يدل على معنى كلي عام واسع له مصاديق كثيرة، إذ أن اللفظ وضع مرة واحدة للدلالة على العديد من الأشياء، فالإنسان مشترك معنوي بين كل افراد النوع (اليماني 2004، ص 210). وعند البحث ومحاولة تفسير اي موضوع سنجد ان للمعنى المباشر للجذر الاصلي وسنده حزمة من المعاني التي قد تبدو غير مترابطة فيما بينها من ناحية معينة لكن الباحث لو اعاد النظر مطولا سيجد شبكة من المعاني في العمق الشاقولي وبهذا سنجد ان لكل كلمة او موضع بعدين: الاول افقي مباشر نستطيع ادراكه مباشرة عند تلفظ الكلمة، والاخر بعد شاقولي يحتاج الباحث الى التمعن للوصول اليه. (العمري 2019، ص 66).

وبهذا يمكن تعريف مصطلح العمارة الاسلامية عن طريق الخوض بالمعنى العميق لها وآنذاك سنتوصل الى انها تشير الى اي بنيان يخضع لتعاليم الدين الاسلامي او جزء من عقيدة الدين الإسلامي. وهنا موطن الخطر من ناحية ان منهج الفعل او النتاج البشري مختلف عن منهج الدين، وهذا لا يعيب كليهما ولا يعني بالضرورة أن النقص كامن في أحدهما، فالمقارنة لا محل لها ومحاولة صنع ذلك الخليط بتعشيق هذا في ذاك محاولة محكوم عليها بالفشل مقدماً، فالجهد الإنساني من علوم وفنون في محل تساؤل وتغير دائم، أما الدين فيقين ثابت، والمنتج الحضاري والمعرفي البشري لا يعرف الا علامات الاستفهام والدين لا يمنح الا نقاط الإجابة (منتصر، 2005، ص 8). وعليه فان جر الاول من مصافي الحضارة إلى العقيدة يجعل معيار نجاح ذلك النتاج هو مطابقته للنص الديني سواء كان آية أو حديث نبوي، وليس مطابقته للشواهد والتجارب الإنسانية. الامر الذي يعني ان اي خلل يرتكبه الانسان شططا او مبالغة في نتاجه الحضاري فنا او علما او معرفة ويحاول الباسه لبوسا دينيا سوف ينصب هذا على العقيدة سلبا، وان هذا سوف يكون مدعاة للتساؤل فيما اذا كان ذلك النتاج الخاطئ قد نتج بالضرورة من خطأ في العقيدة؟!

3-4/ الدلالة (الدال والمدلول) (Signifier & Signified):

الدال والمدلول، مصطلحان فلسفيَّان يتْبعان الفلسفة البنيويَّةَ اللغوية التي كان رائدُها - في بداية القرن العشرين - فيرديناند دو سوسير (Ferdinand de Saussure) او ما يطلق عليه في البلاغة العربية (المبنى والمعنى)، أو في الفلسفة الإسلاميَّة عند المعتزلة والأشاعرة بـ (الاسم والمسمى) أو فيما عُرف فيما بعد بـ (الشكل والمعنى) أو (الشكل والمضمون). (جواد، 2013، ص 54)

لغويًّا: الدَّالُّ هو الشكل (الاسم، اللفظ، المحسوس، الجسد)، والمدلول هو المعنى (المضمون، الجوهر). فمثلًا: لفظة "كتاب" (سواء كانت منطوقة أم مكتوبة) هي الدَّالُّ، ومعناها (الشيء الذي تُشير إليه رمزا او مصداقا)، والذي يفهمه معظم الناس، سواء كان معنويًّا أم ماديًّا، هو المدلول ولقد تكلم كثير من الفلاسفة والمفكرين عن اللغة وطبيعتها بشكل مفصَّل ومُعقَّد، وما يهمنا هنا من كلِّ ذلك هو طبيعة نظرة الفلاسفة والمنظِّرين لعلاقة الدَّالِّ بالمدلول: هل علاقتُهما متصلة أو إنها منفصلة؟ (جواد، 2013، ص 55) فان كانت متصلة، فهذا يعني أننا لن نستطيعَ تغيير الأمور كثيرًا، فما يمكن أن يقال سيكون له معنًى واحدٌ أو معانٍ محدودةٌ لا يخرج عنها، ويمكن حصرُها وينتهي الموضوع، فلن تتعدد تلك المعاني إلى ما لانهاية بالتأكيد؛ وهذا يعني أيضًا أن دورَ البشرَ محدودٌ جدًّا في الحياة. لكن إن كانت منفصلة، فهذا يعني أنه يمكن اللعب بالمعاني كما نريد، ونلبس أمورَ (الدالِّ) كما يحلو لنا كبشر؛ ويعني أيضًا أن التحكم في اللغة (وبالتالي في أمور الحياة التي تفهم من خلال اللغة) ممكنٌ، وإن كان ليس تحكمًا كاملًا بالتأكيد. (فاخوري، 1994، ص 23-37).

وإذا كانت لفظة الاسلامية هنا هي الدال فان المدلول هو كل ما يتعلق بأصل الدين والعقيدة عبادة وخضوعا، ومن هنا فان اضافة لفظة اسلامية الى العمارة يعني بالضرورة بان العمارة جزء من العقيدة ومرتبطة بأصل الدين والايمان، فما معنى إضافة صفة قد تفسر بالثبات (الدين) لكيانات يجب أن تتميز بالديناميكية والتحول والتغير والتطور (العمارة والعمران)؟

DOI: http://dx.doi.org/10.25098/4.1.1

4- إشكالية المضمون:

4-1/ المتغيرات الظرفية (الزمان والمكان):

عندما بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بناء مسجده، انبثقت عمارة المسجد من بيئته المحيطة، سواء من شكله البسيط أم من المواد المستخدمة في بنائه، وعلى كل حال ظلت خصائص المسجد المعمارية الرئيسية كما هي على الرغم من الطرز المختلفة التي استخدمت للاستجابة للسياقات والبيئات المختلفة التي وصل إليها الإسلام، والتي عكست البيئات المتنوعة كعمارة المساجد في آسيا وأفريقيا، الصين، الهند وعمارة العثمانيين الشهيرة. (الشافعي، 1981، ص،3-5) ففي البداية، كان بكل مدينة كبيرة مسجد واحد فقط يبنى ليجمع المسلمين لهذا سمي بالجامع، ولكن مع تمدد المساحة المسلمة كان واجبًا أن تبنى مساجد أكثر في مناطق مختلفة في المدينة نفسها، ولكن في الوقت نفسه كانت صلاة الجمعة تقام في المسجد الكبير لتجمع الناس، ومع التوسع المستمر للأرض، تم تشييد العديد من تلك المساجد الكبيرة في مختلف الأنحاء لتستوعب الأعداد الكبيرة من المصلين، وتمت إضافة بعض العناصر لتقابل الاحتياجات المطلوبة في مكان العبادة، كالمنبر، والمحراب – الذي لم يتواجد في المسجد الأول إنما أُضيف لاحقا-، والقبة (أول قبة بنيت في الإسلام كانت قبة مسجد قبة الصخرة في 691 ميلاديًا أي بعد حوالي 60 عام من انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه، ويقال إن سبب بنائها هو لحفظ تلك الصخرة المقدسة بمبني مقبب يناسب القبب العالية المبنية بالمدينة). (مؤنس، 1981، ص 156). ولاحقًا، حاول المعماريون أن يكونوا مبتكرين في بناء القباب الجاذبة بأشكال هندسية مختلفة كالمستديرة والمضلعة فكثرت القباب المخروطية في بلاد فارس وكانت القباب المتعددة او أنصاف القباب في الاناضول وبهذا اختلفت شكل القباب من منطقة الى اخرى تبعا لحضارة تلك المنطقة وتبعا للظروف الجوية والمناخية ومواد البناء المتوفرة بتلك الاماكن ولهذا تطور المسجد من مكان بسيط لتجميع المسلمين في وقت الصلاة الى انواع وانماط وطرز. (الشافعي، 1981، ص 6-57) واما الصحن الذي كان يستخدم لاستيعاب المصلين في الاعياد والجمع وهو المكان المفتوح من المصلى فقد توسع وتغير حجمه في المناطق الحارة وصغر حجمه وكاد ان يختفي في المناطق الباردة واما المئذنة، فتعد واحدة من أكثر المظاهر المرئية لعمارة المساجد وهي عباره عن برج مجاور أو متصل بالمسجد حيث يعلن منه الأذان، والمئذنة بجانب وظيفتها فهي تمثل تذكير بصري قوي بحضور الإسلام. ولقد بنيت المئذنة لأول مرة في عهد الأمويين، ثم بدأ المعماريون لاحقًا في تطوير شكلها وتزيينها، مثلما نرى في مختلف فترات العصور الإسلامية. وعلى الرغم من الخصائص العامة المشتركة للمساجد التقليدية، نجد العديد من الاختلافات في الطرز الإقليمية من حيث الاختلاف في الأشكال، الألوان، الخامات أو التزيين العام للمسجد من الألوان البيضاء والزرقاء الزاهية في إيران، إلى الحجارة الصامتة بمصر في القرن نفسه إلى التأثير المعماري التراثي الظاهر على مساجد الصين وأفريقيا وإندونيسيا. (طاهر، 2013، ص 3-97). اما عمارة المساكن فلقد تأثرت هي الأخرى بالدين الاسلامي على الرغم من ان المدن العربية والحواضر العالمية قبل الإسلام كان ينتشر فيها الصحن لأسباب مناخية ولتخفيض درجة الحرارة وجاء الاسلام ليعزز مبدا الخصوصية وبهذا شاع استخدام الفناء في المنازل وحتى في العمارات الاخرى واختلفت اشكال الفناء من منطقة الى اخرى فوسع حجمه في المناطق الباردة وقل حجمه في المناطق الحارة. (ابراهيم، 1987، ص 44).

لقد عمد العديد من المنظرين الى ربط الأنماط البنائية والنتاج العمراني بصيغ عقدية مشتقة من القران الكريم تأويلا او من الحديث الشريف، او اقوال الصحابة (عزب، 1997، ص 12) ، بل انهم ربطوا هذا المنجز فلسفة بالفكر الإسلامي (شكل رقم 1) وفقهيا جوازا وكراهة وتحريما، (سلمان والجبوري، 2016، ص 413)، فضلا عن انهم افردوا فصولا في فقه البنيان، (القسمة وأصول الأرضين" للفرسطائي و"الإعلان بأحكام البنيان" لابن الرامي) ومن المحدثين (جميل أكبر) في كتابه (عمارة الأرض)، وكذلك د. صالح الهذلول، واكثر من ذلك فقد حاول بعض المنظرين من المعمارين تفسير المركب الحضري والعمارة تبعا لذلك الفقه، هو الحال لدى بسيم حكيم، الذي حاول ربط التنظيم المكاني والعمراني لمدينة تونس بالفقه المالكي (الذي ساد في مجتمع المغرب العربي) ابان انشاؤها وتوسعها العمراني والحضري (Hakim 1986, p16).

المجلة العلمية لجامعة جيهان – السليمانية ص:1-13
المجلد (4) – العدد(1) , حزيران 2020
ISSN 2520-7377 (Online), ISSN 2520-5102 (Print)

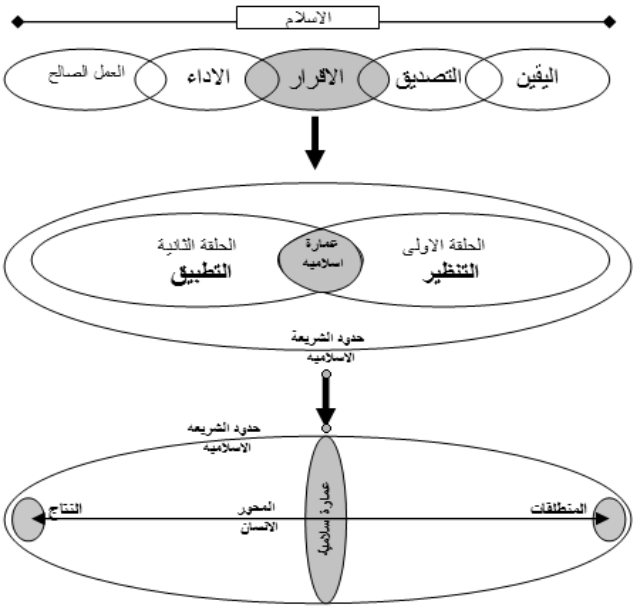

مخطط (1) يوضح تركيب نظام تشكل العمارة الإسلامية بحسب (سلمان والجبوري، 2016، ص 413)

ويمكن ان نرى هنا عدم جدوى مثل تلك المحاولات في ربط النص الديني بالعمارة والعمران من منظور ان التغيير والتطور في الانماط البنائية جاء ضمن متسلسلة زمنية طويلة وتبعا للرقعة الجغرافية والبيئة الطبيعية التي تواجدت فيها تلك الأنماط، ولم يضع القران او الاسلام شروطا لهذا التطور او لم يكن هناك دليل او نص ديني واضح اشترطته عقيدة الإسلام لتحجيم او تقييد هذا التطور، فالإسلام كشريعة حدد كثيرا من الأسس الاجتماعية التي اثرت ضمنا على البنيان والعمران ولكنه لم يحدد او يذكر شروط التطور بل جاء وتبلور نتيجة متغيرات ظرفية وتبعا لاختلاف الحضارات التي انتشر فيها الاسلام آنذاك.

2-4/ المتغيرات البراغماتية (الحاجة، والنفع، والامكانية):

نتيجة نشوء حضارة الدولة الاسلامية كان لابد من تطور تراكيب بنائية جديدة لتخدم حاجات نفعية جديدة متزامنة مع الديانة الجديدة، وقد تكون بعض هذه التراكيب موجودة اصلا وتطورت مع مبادئ الدين الاسلامي كالمدرسة والحمام والمارستان، ومنها ما هو مستحدث كالمسجد والتكيه (Alqemaqchi, 2013, p35)، وسوف نحاول ان نتعرض هنا الى تركيبتين بنائيتين فقط هما الحمام والبيمارستان لتوضيح وجهة النظر تلك.

يؤكد الكثير من المؤرخين أن أول من ادخل الحمام هم الفراعنة، لكن دون ذكر اسم ذلك الفرعون وهناك إشارات أخرى الى أن النبي سليمان (ع) هو أول من صنع الحمام. وتشير أكثر المصادر الى أن إنشاء الحمامات الشعبية يعود الى العصر الروماني في ايطاليا أو في الولايات الرومانية، في القرن الثاني قبل الميلاد، وكانت الفكرة في إنشائها بسيطة للغاية، وتواجدت حمّامات خاصة بالأباطرة مثل نيرون ودقلديانوس وغيرهم، وكانت تقوم بدور ترفيهي استجمامي الى جانب دورها في عملية الاغتسال. أما الحمامات الشعبية أو العامة في البلاد العربية الإسلامية، فظهرت مع بداية العصر الإسلامي وتحديدا بمصر (محمد، 2008، ص 506)، إذ أنشأ عمرو بن العاص أول حمام بالفسطاط، ويعتبر أول حمام عمومي في مصر أيضا، أما في العصر الفاطمي فيذكر المقريزي أن الخليفة العزيز بالله هو أوّل من بنى الحمامات بها وازدادت ازدهارا وانتشارا وتميزت الحمامات في الدول العربية على اختلاف تفاصيلها بأربعة فضاءات اساسية وهي المدخل، البيت البارد، والبيت الدافئ، والبيت الحار. (الشافعي، 1981، ص 15-35) وذلك قريب الشبه بما ظهر من حمامات سابقة ويكاد يكون مطابق للتركيبة الفضائية للحمامات القديمة (Fletcher, 1996, p 141) التي وجدت في روما(caldarium (hot bath، the tepidarium (warm bath) and the frigidarium (cold bath). الامر الذي يدلل على ان تلك التركيبة البنائية هي تطوير لما وجد سابقا وليست استحداثا لبنية جديدة.

اما المارستان فيعتقد البعض أن أقدم المستشفيات المخصصة كانت في بلاد ما بين النهرين، بينما يعتقد باحثون آخرون أنهم كانوا في الأديرة البوذية في الهند وسريلانكا، وتشير الكتابات القديمة إلى أن الملك السنهالي باندوكابهايا كان لديه مستشفيات بنيت في سريلانكا الحالية في القرن الرابع قبل الميلاد. وتشير الآثار الواسعة إلى وجود غرف للمرضى قريبة بشكل مدهش من غرف

DOI: http://dx.doi.org/10.25098/4.1.1

المرضى المستخدمة اليوم. وهناك إجماع عام على أن أول مستشفى تعليمي يضم أطباء وعلماء زائرين من مصر والهند واليونان قد تم تأسيسه في جونديسابور في إيران الحالية في عام 300 ميلادي. (Luoma, 2010, p50-54)

ولقد أنشئت المستشفيات العديدة في العالم الإسلامي، وعلى الرغم من اختلافها باختلاف الرقعة الجغرافية وحضارة البلاد التي انشئت فيها الا انها تشابهت باحتوائها على فناء كبير يفتح عليه مجموعة من الغرف في الطابق الارضي اما الطابق العلوي فهو محاط برواق يطل على الفناء ويحوي غرف الاطباء وغرف العزل والعمليات. وهي من المنشآت التي كانت تجمع بين الوظيفة الدينية والعسكرية حيث كان يقيم فيها المحاربون استعدادًا للجهاد أو للتعبد. ومن أشهر أمثلتها في العمارة الإسلامية رباط المنستير في تونس في سنة 796م. (شافعي، 1981، ص 64-121)، وهي قريبة الشبه الى حد كبير مما وجد سابقا من اثار للمشافي التي وجدت في حضارات ما قبل الإسلام.

ان ما تقدم يشير الى ان التراكيب العمرانية التي كانت سائدة في البلدان التي فتحها المسلمون والتي كانت في معظمها حواضر عالمية سابقة على الإسلام، قدمت ما يمكن ان تقدمه من معين حضاري وعمراني للفاتحين المسلمين ولما كانت تلك الحضارات زاخرة بالنتاجات والمخرجات العمرانية، فقد استفاد منها المسلمون. ونتيجة للحاجة ولتطور المجتمعات ونموها فكان لابد من تطور تلك التراكيب البنائية والتي لم يكن للدين الاسلامي اي تأثير مباشر في تحديد سماتها وطبيعتها بل كانت نتيجة للحاجة والتي القى الاسلام بظلاله عليها من خلال المبادئ الاجتماعية والدينية التي ارساها في المجتمع دون ان يحدد سبل تطورها او انشاءها.

5- إشكالية الهوية:

5-1/ الأعراف والتقاليد:

العرف، والعادة، والتقاليد، والتعامل، عبارات متعددة في اللفظ متحدة في المعنى، وهي أسماء لشؤون استقرت في النفوس من الأمور المتكررة المقبولة عند الطباع السليمة. وإنما تعددت الألفاظ بسبب تعدد أوصاف المعنى الواحد، فباعتبار كونها معروفة عند أربابها تسمى عرفا، ولتكرار العمل بها مرة بعد أخرى تسمى عادة، وبإتباع الناس لها وأخذها بدون بحث عنها تسمى تقليدا، وباستمرار العمل بها تسمى تعاملا. وهي بطبيعتها لا تأتي عفوا بل لا بد لها من غرس أتت منه ورسخت بعد ذلك في النفوس حتى صارت عادة أساسية لحياة الأمة. فتارة تأتي من وضع واضع، وتارة أخرى تأتي من غير أن يعرف لها واضع، ومثل هذا النوع قد ينشأ من البيئة ومن نظم حياتها الاجتماعية جودة ورداءة. وتارة تأتى من الجيران أو من الأديان، فهذه الاخيرة إن كانت من الأديان السماوية تعتبر من أرقى العادات والعمل بها يكون عملا بذلك الدين. (كاشف الغطاء، 1994، ص 4)

ينقسم العرف إلى قسمين: عرف عام: وهو ما كان لجماعة كثيرة لا يستند وضعه إلى طائفة مخصوصة يتناولها وغيرها كالأوضاع القديمة. وعرف خاص: وهو اضطلاع طائفة مخصوصة على شيء معلوم. والعرف له اعتبار كبير في الشرع الإسلامي كما أشار إلى ذلك العلامة ابن عابدين في منظومته عقود رسم المفتي: والعرف في الشرع له اعتبار لذا عليه الحكم قد يدار قال ابن فرحون في تبصرة الحكام: إن الأحكام المترتبة على العوائد تدور معها كيفما دارت وتبطل معها إذا بطلت، فمثلا إذا كان الشيء عيبا في الثياب في العادة رددنا به البيع. فإذا تغيرت تلك العادة وصار المكروه محبوبا لم يرد به. وبهذا القانون تعتبر جميع الأحكام المترتبة على العوائد وهو تحقيق ما جمع عليه بين العلماء لا اختلاف فيه. ثم قال: كل ما هو في الشريعة يتبع العوائد يتغير الحكم فيه عند تغير العادة إلى ما تقتضيه العادة المتجددة. (كاشف الغطاء، 1994، ص7-10) قال تعالى (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (الأعراف 199) ولقد ورد عن الرسول (ص) عمله بالعرف واحترامه للعادات والتقاليد اذا كانت متفقة مع الشرع (انما جئت لأتمم مكارم الاخلاق)، ويتضح ذلك منذ النشأة الأولى للمدينة في عصر صدر الإسلام في بنيتها وتخطيطها فخضعت تلك المدن للاطار الاجتماعي في التخطيط وتبع ذلك المدن المستحدثة بغداد وسامراء، فكانت تلك المدن في تخطيطها وبنائها ملائمة مع الطابع الاجتماعي للعرب المسلمين، اذ بنيت على ما عرف عن مستخدميها من عادات وما جرت به الأعراف، وينسحب ذلك على جميع العمائر التي انتجها المسلمون من مسكن ومسجد ومدرسة وما كان سابقا على وجودهم من عمائر، فلم يغير المسلمون ما رأوه حسنا ومفيدا ولا يتعارض مع تعاليم الإسلام والعقيدة.(عثمان، 2017، ص 15)

وبهذا الاعتبار فان الاسلام دين جاء مكملا للمجتمعات ولم يغير اعرافها او قيمها الأساسية، فهو لم يحطم عادات الشعوب بل بالعكس، دعم القيم الأخلاقية والعرفية التي تحويها تلك الحضارات بما يتوافق مع تعاليمه، فهو دين عظيم شامل لم يحاول ان يخلق قيود جديدة بقدر ما اعطى للأفراد إمكانية ممارسة حياتهم تبعا لما الفوه من عادات وتقاليد طالما كانت لا تتعارض مع دين الاسلام،

المجلة العلمية لجامعة جيهان – السليمانية ص:1-13
المجلد (4) – العدد(1) , حزيران 2020
ISSN 2520-7377 (Online), ISSN 2520-5102 (Print)

وينسحب ذلك على فنون العمارة والعمران بكافة نواحيه اخذين بنظر الاعتبار المبادئ العملية الشاملة التي تشكلت للمجتمعات من جراء اعتناقهم للدين الإسلامي.

2-5/ تغير الطرز:

الطرز: جمع طراز. ويراد بها الهيئة التكوينية العامة والصور المبتكرة للشكل المعماري بما في ذلك العناصر الاساسية والعناصر الثانوية. وليس هناك طراز ثابت او مقسم يمكن الاعتماد على عناصره الاساسية على فرض انها لا تتغير تغيرا كبيرا من مكان لآخر او من وقت لغيره. ولهذا جاءت الطرز المتشابهة اسلوبا، مختلفة اختلافا جوهريا في الكثير من اقسامها (يهنسي، 1979، ص 111). ولسنا هنا بصدد استعراض الطرز المختلفة للعمارة التي انتجها المسلمون، بقدر ما نحاول ان نورد هذا الموضوع كونه دليلا على اختلاف النتاجات المعمارية التي انتجها المسلمون عبر العصور كما اننا سوف نقتصره على المساجد كون هذا النمط البنائي من أوائل ما انتجه المسلمون من عمران. (جدول 1)

جدول (1) يوضح التباين في طرز عمارة المساجد عبر العصور (الباحثون عن، طاهر 2013)

الطراز	مميزاته	المبنى	النموذج
عصر صدر الإسلام (بدء البعثة النبوية – 662 م)	ويمتاز ببساطته ودعمه للحاجة دون أي مظهر من مظاهر البهرجة والتزويق	مسجد الرسول (ص)	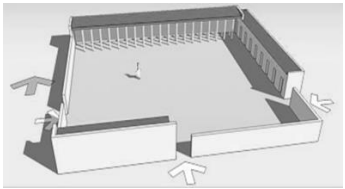
الطراز الاموي (662 - 750م)	وهو طراز نشأ في العصر الاموي واهم صفاته وجود المآذن المربعة ذات القواعد المعمدة. اما قبابه فترتكز على قاعدة مربعة	الجامع الاموي في دمشق	
الطراز العباسي (750- 1258م)	ويمتاز بعمارته الحلزونية وشرافاته وتراكيبه الهندسية الصريحة	جامع سامراء	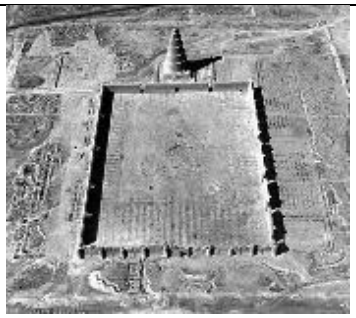
الطراز الصفوي (1551- 1736 م)	وقد توسع هذا الطراز في استخدام القباب في المساجد والمراقد. وعمارته متميزة خاصة وإنها مزخرفة بالقاشاني بألوانه ودقته وقد انتشر هذا الطراز في العراق منذ الاحتلال الصفوي	مسجد اصفهان	

DOI: http://dx.doi.org/10.25098/4.1.1

ISSN 2520-7377 (Online), ISSN 2520-5102 (Print)

الطراز الفاطمي (969 - 1171 م)	واهم ما يمتاز به هذا الطراز هي القباب ذات الاقواس المدببة والمنائر الضخمة المزدوجة احيانا	جامع الأقمر في القاهرة	
الطراز السلجوقي (1037- 1157 م)	نشا هذا الطراز ايام حكم الدولة السلجوقية ومعظم اثاره في تركيا. واهم ما يمتاز به قبابه المخروطية العالية. ومآذنه العالية مزينة بخطوط قاشانية زرقاء.	مسجد أشرف أوغلو في قونيا - تركيا	
الطراز العثماني (1299- 1923 م)	نشا هذا الطراز في القرن الثالث عشر الميلادي وما بعده ايام الحكم العثماني. أكثر عمائره يلاحظ فيها كثرة القباب ما بين صغيرة وكبيرة كاملة ونصفية. ومآذنها الكثيرة الضاربة في الجو كأنها (صواريخ).	جامع السلطان احمد في استانبول- تركيا	
الطراز المغربي (1056 - 1269 م)	طراز نشا في المغرب العربي حيث ولد في جامع عقبة بن نافع وتطور بعدها. واهم ميزاته انه تجميع بين الفنون البيزنطية والعربية والإيرانية. مآذنه هرمية مقطوعة، او مستديرة ومن صفاتها ايضا كونها عبارة ابراج ضخمة مربعة	جامع الزيتونة - تونس	
الطراز الاندلسي (711- 1492م)	مدرسة معمارية قائمة بذاتها لكثرة خصائص فنونها وتوسعها. وتعداد فروعها. مثل الاندلسية والمدجنة (وهو فن معماري اسلامي مطبق على بناء نصراني ومعدل بحسبه). والمدجنون هم المسلمون الذين بقوا بجهات الاندلس بعد خروجها من ايدي العرب.	جامع قرطبة - اسبانيا	

المجلة العلمية لجامعة جيهان – السليمانية ص:1-13
المجلد (4) – العدد(1) , حزيران 2020
ISSN 2520-7377 (Online), ISSN 2520-5102 (Print)

لقد اكتسبت العمارة في البلاد الإسلامية طرز بنائها من روافد جغرافية وسياسية وتاريخية واجتماعية وثقافية متعددة، وارتبطت بصرياً بحضور مجموعة من المفردات المعمارية، كان لها دور وظيفي أو جمالي في الإفصاح عن الهوية الإسلامية لتلك العمارة، مثل العقود والقباب والمآذن والمشربيات وغيرها. فالشروع إذاً في تصنيف طراز معماري باعتباره (إسلامياً) هو إثبات لحضور رمز يمثل سمة للثقافة الإسلامية، وليس (دين الإسلام) (أبو السعادات، 2016، ص 76-91).

ان ما يمكن ان يقال عن تخطيط مسجد الرسول (ص) ببساطته الشديدة وخلوه من أي مظهر من مظاهر البهرجة والتزيين لا يمكن ان ينطبق على كثير من الطرز اللاحقة والتي جاءت وفق شكل وعمارة اهتمت بالمبالغة في المقياس والزينة والتي اقل ما يقال عنها انها انعكاس لمدى رغبة للسلطة الحاكمة في الظهور بمظهر القوة والهيمنة، لا بل التسلط أحيانا، أن فلسفة الإسلام ترتكز على التواضع، وتواضع البيئة المبنية هو جزء من هذا التواضع، وبالتالي فإن المساجد العملاقة تتنافى مع هذه القيمة الأساسية مما جاء به الاسلام. ان تباين الطرز واختلافها عبر الأزمنة والرقع الجغرافية يشير بوضوح الى ابتعاد الإسلام عن ادلجة النتاج الإنساني بشقيه الفني والعلمي اذ انه لم يبخل على المسلمين بسياقات فكرية تقوم مقام خطوط سير عامه، وترك للأفراد حرية التعبير عن أفكارهم وآرائهم طالما جاءت متناسبة مع العقيدة ولا تحمل في طياتها ما يتعارض مع الدين.

ان تباين الشكل الذي انعكس كطرز متباينة في مختلف ارجاء العالم الإسلامي مستجيبا للتلاقح الثقافي مع الشعوب والثقافات المتباينة يشير الى ثقافة الاختلاف التي أكد عليها الدين الإسلامي. وان خطورة إضفاء صفة الإسلامية على التباين في تلك الطرز البنائية يأتي من ان ذلك سوف يقيد عالمية الإسلام ويصبغ عليه صبغة المحلية والمناطقية وذلك يتنافى جوهريا مع رسالة الإسلام. فظهرت طرز بنائية تتناسب مع البيئات والحضارات المختلفة، اذ ان الاسلام لم يحدد طبيعة الطرز البنائية، فالذي يصلح في الجزيرة العربية قد لا يصلح في المغرب العربي، والإسلام دين سماوي للبشر كافة (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [سبأ: 28]. فليس من المعقول ان يتناول الاسلام نواحي لمواضيع عديدة كالطلاق والميراث تفصيلا ويغفل عن البنيان، لكن هذا الدين جاء ليعدل السلوك الانساني ويهذبه بمختلف اشكاله وصوره دون تقييد او تحديد.

6- الاستنتاجات:

من مناقشتنا السابقة لأسس التعريف ودلالته ومفهومه ومعانيه التي يطلقها، يمكن ان نتوصل الى جملة من الاستنتاجات التي تدعم الراي القائل بإخفاق استخدام مصطلح (العمارة الإسلامية) في توضيح غاياته:

أولا: يعود مصطلح (العمارة الإسلامية) الي نتاج جهود بذلها الغربيون لدراسة الإسلام، بدأت بالدراسات اللاهوتية ثم انتقلت الى الدراسات الاستشراقية التي ناقشت تباعا العلوم والتاريخ ثم الفنون، وقد حصل خلط في إطلاق تسمية (العمارة الإسلامية) بما تعكس في فحواها لجزء من تراث شعوب تعتنق الإسلام دينا. فإذا كانت عبارة (الإسلامية) تمثل الدال فان المدلول هنا هو كل ما يتعلق بأصل الدين والعقيدة عبادة وخضوعا، ومن هنا فان اضافة لفظة اسلامية على العمارة يعني بالضرورة بان العمارة جزء من العقيدة ومرتبطة بأصل الدين والايمان، فما معنى إضافة صفة قد تفسر بالثبات (الدين) لكيانات يجب أن تتميز بالديناميكية والتحول والتغير والتطور (العمارة والعمران)؟ كما ان هذا يقود بالضرورة الى القول بان اي خطأ او خلل يرتكبه الانسان (شططا او مبالغة) في نتاجه الحضاري فنا او علما او معرفة ويحاول الباسه لبوسا دينيا سوف ينصب هذا على العقيدة سلبا، وان هذا سوف يكون مدعاة للتساؤل فيما إذا كان ذلك النتاج الخاطئ قد نتج من خطأ في العقيدة!؟

ثانيا: تقترن عبارة «إسلامية» عموماً بمظاهر ثقافة أو حضارة الشعوب التي عاشت في الدول التي سادها الدين الإسلامي. وفيما يختص بتاريخ العمارة، فقد درج الباحثين على اعتبار مفهوم العمارة الإسلامية توصيفاً للدلالة على التراث المعماري المرتبط بعقيدة الإسلام، والمتعلق بجوهر تعاليمه، وهو ما أضفى (نزعة مثالية غير حقيقية) على تلك العمائر. ان التراكيب العمرانية التي كانت سائدة في البلدان التي فتحها المسلمون والتي كانت حواضر عالمية قدمت ما يمكن ان تقدمه من معين حضاري وعمراني للفاتحين ولما كانت تلك الحضارات زاخرة بالنتاجات والمخرجات، لذلك فقد استفاد المسلمون من تلك المخرجات وطوروها، ونتيجة للحاجة ولتطور المجتمعات ونموها كان لابد من تطور تلك التراكيب البنائية والتي لم يكن للدين الاسلامي اي تأثير مباشر في تحديد سماتها وطبيعتها بل كانت نتيجة للحاجة والتي القى الاسلام بظلاله عليها من خلال المبادئ الاجتماعية والدينية العامة التي ارساها في المجتمع دون ان يحدد سبل تطورها او انشاءها.

DOI: http://dx.doi.org/10.25098/4.1.1

ثالثا: ان الاسلام دين جاء مكملا للمجتمعات ولم يغير اعرافها او قيمها الأساسية فهو لم يحطم عادات الشعوب بل بالعكس دعم القيم الاخلاقية والعرفية التي تحويها تلك الحضارات بما يتوافق مع تعاليمه، فهو دين عظيم شامل لم يحاول ان يخلق قيود جديدة بقدر ما اعطى للأفراد إمكانية ممارسة حياتهم تبعا لما الفوه من عرف وعادات وتقاليد، وينسحب ذلك على فنون العمارة والعمران بكافة نواحيها اخذين بنظر الاعتبار المبادئ العملية الشاملة التي تشكلت للمجتمعات من جراء اعتناقهم للدين الإسلامي. أن عمارة المسلمين كانت نتاج لحاجاتهم البيئية والاجتماعية، ممتزجة مع الفكر الذي يحرك العقل ويتطور مع الزمن بحسب المتغيرات. وهذا يشكل التباين بين مفهومي العمارة الإسلامية كفكر وفلسفة، وعمارة المسلمين كنتاج وأشكال.

رابعا: وأخيرا فان من الظلم بمكان ان نضفي صفة الإسلام على النتاج الحضاري والعمراني الذي انتجه أناس متباينين زمانا ومكانا ومن قوميات واعراق مختلفة امنو بهذا الدين ونشروه، وان خطورة إضفاء صفة (الإسلامية) على التباين في ذلك النتاج يأتي من ان ذلك سوف يقيد عالمية الإسلام ويصبغ عليه صبغة المحلية والمناطقية ويحصره بمجموعة محدودة من الافراد وذلك يتنافى جوهريا مع رسالة الإسلام الذي جاء للناس كافة.

إن العمارة الإسلامية ليست بالضرورة تلك العمارة التي تُجسد عقيدة دين الإسلام وحسب؛ بل هي العمارة الناطقة بهوية الحضارة الإسلامية، والمعبرة عن العلاقة بين العقيدة والمجتمع من منظور مدني واجتماعي وسياسي، والملبية لحاجات المجتمع، سواء العمائر الدينية كالمساجد والزوايا لخدمة المسلمين، أو العمارة المدنية والخدمية في البقاع المختلفة لخدمة المسلمين وغيرهم من الملل أبناء المجتمع، وبمعالجات معمارية متنوعة، والتي اكتست ببصمة مميزة من إقليم لآخر، ومن عصر لعصر.

ان هذا لا يعني بان مصطلح العمارة الإسلامية، والمدافعين عن استخدامه لتوصيف النتاج العمراني للمجتمعات التي عاشت في الإمبراطورية التي امتدت على رقعة واسعة من البقاع والتي دامت لقرون طويلة والتي رفدت الإنسانية منذ ظهورها بغنى ومنجزات لا تزال ماثلة للعيان، لم يقدموا الحجج التي تدعم موقفهم انطلاقا من ارتباط المصطلح بفكرة الحضارة التي بناها الإسلام ، وانطلاقا من فكرة الاصطلاحية التي تنشا من أصول اتفاقية لاستخدام المصطلح يحكمه التعود والالفة مع الاستخدام، بغض النظر عن اشكالياته الاصطلاحية.

المصادر:

1- إبراهيم، عبد الباقي، وحازم محمد إبراهيم، **المنظور التاريخي للعمارة في المشرق العربي**، منظمة العواصم والمدن الإسلامية، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، 1987.
2- ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، 1993.
3- أبو السعادات، شريف حسين، **القيم الرمزية والإبداعية للطراز الإسلامي في العمارة والتصميم الداخلي**، *مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية*، تصدر عن الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية، المجلد 8، العدد 2، 2016. DOI: 10.12816/0036536
4- بدوي، عبد الرحمن، **الموسوعة الفلسفية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (ط1) بيروت، 1984.
5- بهنسي، عفيف، **جمالية الفن العربي**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1979.
6- الجرجاني، الشريف علي، **كتاب التعاريف**، تعليق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2008.
7- جواد، سعيد ياسين، **مساهمة دي سوسيير في مسالة الإشارة**، مجلة جامعة ذي قار، المجلد 8، العدد 3، 2013.
8- حنش، ادهام إبراهيم، **نظرية الفن الإسلامي: المفهوم الجمالي والبنية المعرفية**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندون، فرجينيا، 2013.
9- خليل، ياسين، **مقدمة في علم المنطق**، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1979.
10- خندان، علي أصغر، **المنطق التطبيقي: منهج جديد في توظيف أصول علم المنطق**، ترجمة محمد حسن الواسطي وعبد الرزاق سيادت الجابري، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، 2017.
11- زرابوزو، جمال الدين، **ما هو الإسلام**، ترجمة د. هالة أحمد الشيخ، وزارة الشؤون الإسلاميةً والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، 2005
12- السروري، مطيع عبد السلام، **الدال والمدلول Signifier & Signified: نانو الفلسفة**، منصة الالوكة الثقافية، 2017. https://www.alukah.net/culture/0/116186/

13- سلمان، عبد الله سعدون، والجبوري، زهراء احمد، **دور نظم العقيدة الاسلامية في تشكيل العمارة**، *مجلة الهندسة والتكنولوجيا*، المجلد 34، الجزء (A) العدد 10، 2016.
14- شافعي، فريد، **العمارة الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها**، جامعة الملك سعود، الرياض، 1981.
15- طاهر، فتحي بشير، **نماذج من تطور عمارة المساجد في الإسلام، من العصر الاموي الى عصر المماليك**، جامعة الرباط الوطني، الخرطوم، 2013. Research Gate
16- عبود، عدي عباس، **المرجع في العمارة نظرة مستقبلية**، بحث غير منشور، رسالة ماجستير، الجامعة التكنولوجية 2002.
17- عثمان، محمد عبد الستار، **المدينة الإسلامية**، مؤسسة كتب عربية، القاهرة، 2017.
18- عزب، خالد، **فقه العمارة الإسلامية**، دار النشر للجامعات، القاهرة، 1997
19- العقابي، هاشم احمد، **السمة اللامنطقية للتلقي في العمارة**، *مجلة المثنى للهندسة والتكنولوجيا*، المجلد الخامس العدد 3، 2017.
20- العمري، احمد خيري، **ليطمئن عقلي**، دار عصير الكتب للنشر، القاهرة، 2019.
21- فاخوري، عادل، **علم الدلالة عند العرب: دراسة مقارنه مع السيمياء الحديثة**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، (ط2) 1994.
22- القاسمي، علي، **علم المصطلح: أسسه النظرية وتطبيقاته العملية**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2008.
23- كاشف الغطاء، اسعد، **العرف حقيقته وحجيته**، مؤسسة كاشف الغطاء، النجف، 1994.
24- محمد، على عبد الحفيظ، **الضوابط الفقهية لعمارة الحمامات الإسلامية، دراسة تطبيقية على نماذج مختارة من الحمامات في العالم الإسلامي**، *مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية*، تصدر عن الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية، المجلد 10، العدد 1، 2018. DOI: 10.12816/0044813
25- منتصر، خالد، **وهم الاعجاز العلمي**، دار العين للنشر، القاهرة، 2005.
26- مؤنس، حسين، **المساجد**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1981.
27- اليماني، أحمد بن محمّد بن حمود، **الاشتراك المعنويّ والفرْقُ بينه وبين الاشتراك اللّفظي**، *مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها*، الجزء 19، العدد 31، جامعة أمّ القرى، 2004.

28- Al-Qemaqchi. N. & Hafsa Alomari, **Sustainable Architecture Through Islamic Perspective: A Case Study in Old Mosul City Residence Area,** International Middle East Conference on Sustainability and Human Development (iMESH), Abu Dhabi, 2013, Research Gate
29- Fletcher, B., **A History of Architecture** (20th Ed.) Architectural Press, New York. 1996.
30- Hakim, B., Arabic-**Islamic cities: building and planning principles**, Routlenge New York, 1986.
31- Luoma, H., **The History of Hospitals and Wards**, *California. Healthcare Design*, San Francisco, Vol. 10, No. 3, March 2010.

DOI: http://dx.doi.org/10.25098/4.1.1